القيم كأداة لتنمية المناطق العمرانية

دلالات القيمة فى عمران المدينة - مدخل إلى علاقة الإنسان والمكان

د. هشام أبو سعده
باحث : مركز بحوث البناء - القاهرة

موجـز

يعد هذا العمل أحد المحاولات الأولية التى تستهدف البحث عن مفاهيم القيم ودلالتها وتأثيراتها فى مجال العمارة والعمران ، وفى ضوء الافتراض بأن هناك تشابهاً أو يكاد فى النتاج البنائى المعمارى والعمرانى للمدن العربية التقليدية من ناحية ، وأن هذا التشابه كنتاج للتقارب فى ملامح الإطار الفكرى الحضارى وثيق الصله بالمؤثرات الثقافية والاجتماعية للمجتمعات العربية من الناحية الثانية ، فإن هذه الورقة توفر مساحة وحيزاً لمناقشة نتائج طرح نظرى محدد لمفاهيم القيمة من منظور عمرانى وباعتبارها أنساق عمرانية - ثقافية لها تأثيرها المباشر وغير المباشر على النتاج البنائى من جهة وتستمد قوتها من الإطار الفكرى الحضارى المتمايز للمجتمع والجماعة من جهة أخرى . ومن ثم تناقش هذه الورقة الاشكالية السابقة من خلال محورين أساسيين : الأول - حول المفاهيم : ويستهدف الوصول إلى صياغة مقبولة ومنطقية لتفسير المفاهيم الشائعة للقيم وإلقاء الضوء على مسألة القيمة فى المجال العمرانى ، ويرتكز هذا المحور على توثيق نتائج تحليل بعض اتجاهات التنظير حول مسألة القيمة فى المجالات العلمية المختلفة بصفة عامة وإسقاط هذه النتائج على مجالات العمران بصفة خاصة .الثانى - عن النتاج البنائى : ويدور حول البحث عن مدلولات المفاهيم السابقة وتأثيراتها على أنماط النتاج البنائى وتشكيلاته المعمارية والعمرانية ، ويستفيد هذا المحور من خلاصات الاستقراء الواعى لبعض الرصيد المتوافر لهذا النتاج فى المجتمعات العربية التقليدي.وعلى هذا النحو يمكن تركيز الإضافة أو المساهمة المباشرة لهذه الورقة فى جانبين : أولهما - توفير الوسيلة والكيفية التى يمكن بها اكتشاف (وتحديد) مفاهيم القيم عامة والقيم في مجال الدراسات المعمارية و العمرانية على وجه الخصوص ، بالإضافة إلى بيان الإطار الشامل لأنساق القيم فى مجال دراسات العمران ، وثانيهما - الاستفادة من هذا الإطار فى البحث عن إمكانات بعث القيم كأداة لقراءة وتحليل النتاج البنائى ومن ثم فى تنميتة .ويفرض هذا التوجه التعامل مع القيم باعتبارها أنساق عمرانية - معمارية تلمح إلى الثوابت والمتغيرات الاجتماعية - الثقافية المتكررة والمتباينة وكانعكاس لتأثيرات الإطار الفكرى الحضارى فى مجموعات من المفردات التراثية المادية .كما تطرح هذه الورقة فى الخاتمة التوصية ببحث إمكانات بلورة دراسة القيم كمنظومة تفيد فى اقتراح مدخل قيمى معمارى عمرانى يفيد فى عمليات التنمية العمرانية .

كلمات الفهرسة : الإسكان والتنمية العمرانية ، اجتماعيات العمران ، القيم الإنسانية .

١ - مدخل وتقديم

تلعب عملية تحليل مكونات العمران القائم والبحث فى خلفياته المؤثرة - بجانب ما يضيفه التعرف على ملامح الإطار الفكرى والحضارى لمجتمع محدد- دوراً فعالاً فى توصيف الحالات المكانية والفراغية للمجتمعات البشرية فالعمران بكل ما يتضمنه اللفظ والمحتوى من إشارة الى الموجودات الطبيعية أو التى من صنع الإنسان يمكن رؤيته كسجل موضوعى لحالة الجماعة والمجتمع فى حينه ودوماً . كما وأن المتتبع المحلل لعمران وهياكل المجتمعات البشرية على مر العصور - فى ظل اختلاف الموقع والموضع - يمكنه رصد ذلك التشابه والتباين فى ملامح انسجتها وبنائها العمرانى . ولما كان العمران كنتاج لإفراز إنسانى عفوى فطرى فى مستوى وتابع لتأثير إطارات التجربة والخبرة الإنسانية فى مستوى أرقى فإنه بالقطع يكاد أن يكون كنتاج للتعبير الصادق والواعى لأفكار المنتمين للمكان والتوجهات الإيجابية للهؤلاء المتأثرين بكل ما يحمله الماضى والحاضر من تغيرات متتابعة عبر الزمن وفى العصور التاريخية المتتابعة .

ومن ثم فالعمران هنا هو ؛ الإسقاط الواعى (ليس الوحيد ولكن الفريد) والتداعى المنطقى لعكس متطلبات واحتياجات الأفراد والجماعة من ناحية والمجتمع ككل من الناحية الثانية فى نتاج مادى يمكن إدراكه وجدانياً ومعرفياً . وفى ضوء تحليل هذا النتاج وفهمه تتحدد إمكانية قراءة ورصد البواعث والدوافع التى واكبت فترات الإعمار والتفاعل مع البناء . كما تساهم عملية التحليل فى توفير مساحة كافية تسمح بتسجيل الحقائق والوقائع العاكسة لرغبات الإنسان فى مكان محدد وزمان محدد .

كل ما سبق يشير إلى ويدعم هدف البحث عن ذلك الارتباط الوثيق والدائم بين الإنسان (كمستعمل ومؤثر) والعمران (المكان ، كمجال للتأثير والتآثر) . وهذا الارتباط يمكن الكشف عنه فى الأصول التاريخية المادية والمعرفية التى ساهمت فى تشكيل بنية الإنسان : سلوكه وطباعه وأسلوب تفكيره وحياته الواعية . ولعل العلاقة بين الإنسان والمجتمع والذى يعتبر أحد نتاجها العمران يمكن أن ترصد فى بداياتها المبكرة ضمن الدراسات المتخصصة المختلفة ؛ كالفلسفة وعلم النفس وعلم النفس الاجتماعى (الذى ذاع تأثيره وانتشر فى الأربعينيات من هذا القرن) كما يمكن الاستعانة بأدبيات أبن خلدون (مؤسس علم العمران) ومقدمته الشهيرة والتى تعرض لأراؤه حول إمكانية استقراء بعض المدلولات العمرانية فى ضوء تتبع ثقافة الجماعة ومحدداتها الاجتماعية .

ويتتبع هذا العمل ملامح العلاقة بين " الإنسان والمجتمع "، " والانسان والعمران "، فى ضوء التركيز على الربط بين القيم الإنسانية كمبحث يشير إلى بعض محددات الحياة الاجتماعية والثقافية من ناحية والأنساق القيمية - فى جانبها العمرانى - والتى يعبر عنها فى النتاج البنائى للمجتمعات البشرية من الناحية الثانية ويمكن تتبع هذا الربط فى جانبين : أولهما - بحث ماهية القيمة (والقيم) ، وتفسيراتها ، ومحددات اكتسابها ، وطرق اكتشاف وعى الجماعة والمجتمع بها وكيفية قياسها . ثانيهما - رصد المفاهيم والأنساق القيمية للجماعة فى البيئة المشيدة والنتاج البنائى المادى . أى التأثير المتبادل بين القيم والنتاج البنائي : والكشف عن الدور الذى تلعبه القيم فى التأثير على النتاج البنائى والعكس (الدور الذى يلعبه النتاج فى تعميق وتصويب النسق القيمى للفرد والجماعة فى مجتمع محدد).

٢ - فى المفاهيم : عن القيم ونسق القيم

يعالج الجانب الأول موضوع أو مسألة القيم بكل ما تحمله من مؤثرات ودلالات عما يجب أن يتخذه الإنسان كموقف تجاه مجتمعه ومحيطه العام وحياته . (2) وهذا الموقف يفرض رؤية القيم كمحدد ومعيار فى نفس الوقت وعلى المخطط والمصمم أن يعنيا بهما بنفس القدر من الوعى المفروض لدى المثقفين والمهتمين بدراسات الفكر الإنسانى . وفى هذا الشأن يوصى هذا العمل بطرح المفهوم القيمى كمحتوى للتعامل مع العمران باعتباره كمجال خاص بالإنسان (فى التأثير والتآثر) .

ولعل العمل الحالى يرغب فى توجهه هذا أن يتعدى مرحلة التعامل مع لفظة القيمة ومحتواها كرمز أو شعار يعمد إلى إثارة النزعات الفردية ويهتم بنقد ما هو موجود وبيان قصوره ،أو لمجرد إطلاق تعميمات عن القيم الواجبة أو الغائبة فى الأعمال المعاصرة . ولكن يكمن هدف الطرح الأساسى " القيم والعمران " حول مفهوم القيمة ومجالاتها هنا خلف الرغبة فى تحقيق التصور الأوفق لفاعلية الأداء المادى للنتاج : الوظيفة ، الجودة ، والجمال فى ضوء الفاعلية الإنسانية التى تحملها الجوانب الحياتية للإنسان : المعرفة ، والسلوك والوجدان . (2) , (3)

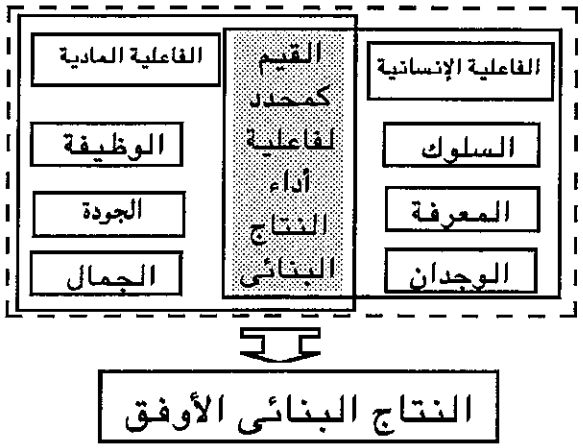

مركب العلاقة بين مكونات الفاعلية الإنسانية والفاعلية المادية فى ضوء طرح القيم الإنسانية كمحدد لفاعلية أداء النتاج

ومادام التفكير فى العمران يستهدف رغبات الإنسان فى ظل ما ينبغى أو مالا ينبغى ، فإنه من الضرورة بمكان أن يكون المبدأ هو ؛ القيم الإنسانية كموجه وإطار بكل ما تحمله من دلالات دينية و ثقافية واجتماعية وأيضاً سياسية واقتصادية ، بالإضافة الى القيم المركبة والتى تتحدد اصولها فى ظل مراجعة تاريخ الفكر الإنسانى لتصبح كفروض وأراء تقتضى التحقيق والاثبات. (قنصوه ؛ ص : ١٢) ويظل التعريف بالقيم وتحديد ماهيتها هدف أولى للدراسة :(2) , (1)

- تعرضت كافة العلوم الوضعية لتفسير ما هية القيم بقصد بيان تأثيراتها على الإنسان حيث تتناولها العلوم الاجتماعية – على أنها : " معيار للمضاهاة بين فاعلية الأشياء ودورها فى تحقيق الأهداف" . وأن القيمة كمعيار ترتيط بوعى الإنسان الاجتماعى وإدراكه للأمور والمؤثرات المحيطة (على المستوى الفردى أو الجماعى) الاجتماعية الثقافية والاقتصادية من جهة والتاريخية من جهة آخرى .(التابعى ؛ ص : ٣٩)

- بينما تظهر القيم فى علم النفس الاجتماعى فى علاقة مباشرة مع : (١) سلوك وتفكير الأفراد (الاسلوب والتوجيه) ، (٢) ثقافة المجتمع والجماعة (فى المكان والزمان) (٣) القواعد والمعايير الحاكمة للمجتمع (الإطار التنظيمى والقانونى) . كما وأنها تظهر كنتاج للتفاعل بين الخبرات والمعارف (الثقافة) والإطار الحضارى والحضرى (العمرانى). (خليفة ؛ ص : ٥٩) وعليه يمكن اعتبار القيم على أنها : (١) كنتاج للعلاقة بين الفرد والمجتمع (وهذه العلاقة تعمل كمحيط حيوى وشامل للقيم)، (٢) تُظهر تمايز المجتمعات وتفردها خلال قواعد اجتماعية خاصة بها – ولا يشترط أن تكون هذه القواعد صائبة أوخاطئة (٣) تعمل كموجه حاسم لبيان الطرق السليمة فى التعامل مع العمران من خلال الفهم والواقع ، (٤) تعمل كأداة للتواصل بين الناس ، (٥) تقوم على الينبُغية dughtness (محور وجوهر وقلب القيمة) كفاعلية اختيارية مؤثرة وثيقة الصلة بأهداف الإنسان الممكنه ووفقاً لقدراته الحرة . (قنصوه ؛ ص : ٤٥ – ٤٧) ، (ص : ١٩٨)

- يمكن استكشاف موضوع القيم فى إطارها السابق ضمن المفاهيم وثيقة الارتباط بالإنسان والمجتمعات فعلى سبيل المثال :

– تختلف وتتشابه القيم فى المجتمعات البشرية (تأثراً واكتساباً) كنتيجة لاختلاف الإطار الفكرى الحضارى لهذه المجتمعات . ويمثل هذا الإطار الفكرى الحضارى المحيط الحيوى للإنسان بكل مقوماته من توجهات ومؤثرات بيئية وإنسانية (نفسية وعضوية) عبر فترات زمنية متتابعة من بداية الحياة . وتمثل الثقافة والتراث أحد أهم جوانب تكوين هذا الإطار لمجتمع محدد فى زمن محدد . (3)

– يطلق على الثقافة أنها هى القيم والمثل السائدة فى المجتمع ، فهى التى ترسم الخطة التى يزاول بها الانسان

فاعليته فكراً وسلوكاً ، أو هى اسلوب من العمل ينطوى على المعتقدات والمهارات والعادات المكتسبة وتتضن الدوافع التى تحث الفرد والجماعة على المشاركة فى بناء النظم الإنسانية كما تحمل فى باطنها المبادئ والاتجاهات والمقاييس التى تقدر بمقتضاها تلك الأساليب والنظم الثقافية نفسها ويحكم عليها . ويقول " الفرد فبر" أن الثقافة ليست التعبير عن مجموعة ظواهر المجتمع السائدة فى مرحلة تاريخية معينة بل هى نمط التفكير والنظرة الى الحياة الشائعة فى تلك المرحلة .(مصطفى ؛ ص : ٢٠٣)

- وكما يطلق على التراث الشعبى لثقافة الجماعة أنها الوعاء الذى يحتوى المعايير والقيم والعادات والتقاليد الإنسانية ، فإن التراث المادى يلعب دوراً كمحدد للقيم الثابتة والمستمرة والتى يمكن أن تعطى قيمة دائمة للمكان .(التونى ؛ ص : ٨٦) كما يساعد التراث بمفرداته ومواده الثابتة والمتجددة كسجل مرئى لثقافة الجماعة على فهم الأحداث الماضية والعادات والتقاليد (والتى يمكن اعتبارها تراث ثقافى قائم) هنا تظهر القيم كجزء أساسى ومكون للعادات والتقاليد ولكن مع ضرورة فهم أن القيمة مرتبطة دوماً بالتفضيل أو عدمه ، أما المعتقد فيرتبط بالصحة والزيف. (خليفة ؛ ص : ٤٧ - ٤٨) وفى حقيقة الأمر يعد هذا الفصل غير موضوعى ففى كثير من الاحيان قد تكون هناك قيمة زائفة مفضلة ولكنها تستمد قوتها (أو شرعيتها كقيمة واجبة) فى ضوء الامتثال الجماعى لها ، وتحولها إلى عادة شعبية متكررة وبمرور الزمن تحولت الى تقليد . الأمر الذى يتطلب مراجعة لبعض القيم فى ضوء فهم الصواب والخطأ والصحة والزيف .

ومن ثم يمكن القول بأ ن القيم تتمثل فى مجموعة من المعتقدات المعرفية والوجدانية الشائعة للجماعة فى مجتمع واحد وفترة زمنية واحدة . وأحياناً هى نظام معقد يتضمن أحكاماً تقيمية (ايجابية أو سلبية تبدأ من القبول الى الرفض) ذات طابع فكرى ومزاجى نحو الاشياء وموضوعات الحياة المختلفة . (3)

ويتطلب الأمر فى ظل الهدف الأولى لهذه الورقة والخاص بالقاء الضوء على مفاهيم القيم بيان وعى الفرد والجماعة بالقيم وتأثيراتها وترتيبها وفقاً لأهميتها ، وهو الأمر الذى يتطلب التعرض لمفهوم نسق القيم فى العلوم المتخصصة وبحث محاولة إسقاط هذا المفهوم على المجال العمرانى فى تجربة أن يكون هناك نسقاً قيمياً عمرانياً:

- مما لا شك فيه أن بداية الإدراك الواعى بالقيم عند كلٌ من الفرد أو الجماعة يختلف عند البسطاء والعامة عنه عند المثقفين والمتخصصين . فإدراك القيم فى أبسط حالاته نابع من الفطرة الإنسانية كبداية ، وما يتبعه بعد ذلك من ترسيب فى الوجدان لأفكار تعتبر من الأمور القاطعة والتى تفرضها الحدود الاجتماعية وغيرها لكل مجتمع . ويظهر هنا تأثير الإطار الفكرى الحضارى كموجه لملامح ما يمكن للفرد أن يستوعبه من قيم مرغوبه او مرفوضة وهذا الاكتساب يحدث دون أى جهد تعليمى أو إلزامى (عدا ما تفرضه التقاليد) وفى إطار وعى الاخرين ليتطور ويصبح وعى فاعل بمرور الزمن . "فحيز القيم " value space لدى الفرد يختلف من عمر لآخر ومن مجتمع لآخر فهو نتاج ثقافى - اجتماعى " . (خليفة ؛ ص : ٨٦)
- وكلما ازداد إدراك الفرد والجماعة بظروف المجتمع من حولهما ونمت لديهما القدرة على تحديد الجوانب المرغوبة وغير المرغوبة - فى ضوء المعرفة بالمتطلبات والاحتياجات الشخصية الخاصة من جهة وما يتلاءم مع الأخرين من جهة أ خرى - إزداد وعيهما القيمى . وبالاستعانه بمخرجات دراسات علم النفس الاجتماعى يمكن إرجاع درجات الوعى بالقيم الى التحديد الواضح لمستويات الفاعلية الانسانية التى تصدر عنها القيم ، والتى تصنف فى مستويين : الادنى - ويرتبط بالحاجات الاولية ، العضوية والنفسيه والاجتماعية ، والارقى - وهو المرتبط بالمطالب التى تكتسب بمرور الوقت والتعلم وتساهم فيها بدور جوانب الابداع الإنسانى ويصيغ هذا المستوى ويدعمه المطالب الثقافية والروحية . (2)
- ويوجز خليفة محددات وعى الإنسان بالقيم فى ثلاثة فئات هى : المحددات البيئية والاجتماعية وتتضمن ثلاث مستويات : (١) دور الإطار الحضارى ، (٢) الأسرة ، (٣) المتغيرات النوعية أو الفرعية داخل الإطار الحضارى (المستوى الاقتصادى الاجتماعى) ، التعليم ، الدراسة ، الجنس ، الدين ، نوع المهنة ، و السلالة .

أما الفئه الثانية فهى ، المحددات النفسية وتدرس خلال التحليل النفسى ، والتعليم والارتقاء المعرفى ، أما الفئه الثالثة فهى : المحددات البيولوجية أو العضوية .(3)

- وكنتيجه لاختلاف وعى الفرد أو الجماعه بالقيم وتباينها عند كل منهم سواءً من ناحية التعامل مع القيمة كمحدد للسلوك أو التوجهات أو من ناحيه إتخاذها كمعيار لقياس الفعل والنتاج ، فإن كل ذلك يفرض ضرورة اقتراح وجود تنظيم شامل مركب يمكن أن يتضمن القيم الإنسانية موضوعة فى ترتيب منطقى وموضوعى يساعد على رصد القيم والتعامل معها فى ضوء تأثيراتها منفصلة وعلاقاتها التبادلية :

- يعرف هذا النظام الشامل بنسق القيم (أو المنظومة) value system ومصدره فى اللغات الاوربية كلمتان يونانيتان هما stema , synأى وضع أشياء فوق بعضها مع بعض فى شكل منظم . أما النسق فى معجم العلوم الاجتماعية فهو مجموعة من الوحدات المتراتبة ترتيباً مخصوصاً ، والمتصلة بعضها ببعض اتصالا به تنسيق لكى تؤدى الى غرض معين ، أو لكى تقوم بوظيفة خاصة . (خليفة ؛ ص : ٣٥)

- وفى ضوء المراجعة المدققة لتعريفات النسق القيمى فى أدبيات الفلسة وعلم النفس وعلم النفس الاجتماعى والعلوم الاجتماعية يمكن وصف النسق بتصرف على أنه :" انعكاس مباشر لمجمل سمات وملامح الإطار الفكرى الحضارى - بكل ما يتضمنه من محددات بيئية (ثقافية / اجتماعية /سياسية / اقتصادية) ونفسية وعضوية - لمجتمع محدد فى فترة زمنية محددة لمجموعة القيم المترابطة التى يتبناها الفرد أو الجماعه (الموجهة والحاكمة لسلوكهم نحو ما هو مفضل ومرغوب) دون وعى منهم . وتمثل كل منها معتقد أو جزء من الكل مرتبة فى نظام وبناء متكامل وشامل ونموزجى ، ترتيباً يتسم بالثبات النسبى (إذ أنه متغير وفقاً للظروف السائدة والمحيطة) فى سلم هرمى متدرج يفرض اختيار الفرد / الجماعة فى ظل إدراك أهمية كل قيمة على حدة . (2), (3), (5)

- ويستمد النسق القيمى فى العمران توجهه من الوصف السابق ، ليظهر كنظام أو بناء متكامل يحمل تصورات الفرد والجماعة حول كل ما له علاقه بحياتهم الواعية من أحداث اجتماعية وحضارية مشكلة لحياة المدينة من ناحية وبين الاحتياجات المادية والعضوية الملازمه لهذه الاحداث من الناحية الثانية .(عبد الحليم ؛ ص : ١٧٠) وهذه العلاقة تتضمن القيم الإنسانية التى تنظم سلوك الفرد وتصرفاته ويتبناها الفرد دون وعى منه وتتجسد مظاهرها فى النتاج البنائى كمفرادات مادية لتصبح تعبير عن الظروف والوسائل والاساليب والاهداف المستخدمه فى عصر من العصور واصبحت انعكاسا للإطار الفكرى الحضارى للمجتمع ككل . وكلما اجتمعت هذه العناصر معاً وتكررت الاحداث تكون الهيكل المتكامل للنسق القيمى العمرانى .(8)

أما عن طرق قياس القيم شائعة الاستعمال فى العلوم المختلفة فيكن الاستفادة منها فى مجال دراسات العمران . وهذه يمكن حصرها فى : المشاهدة والرصد ، والملاحظة المنظمة ، وتحليل المضمون ، واستطلاعات الرأى . والاستعانه بأحد الطرق السابقه لتحديد القيم الفاعلة والمؤثرة لمجتمع محدد يمكن من الوصول إلى صياغة محددة للنسق أو المنظومة القيمية لهذا المجتمع . ومن وجهه نظر الدراسة الحالية تمر عملية الوصول الى هذه المنظومة أو النسق وتوثيقها وإثباتها كمقياس للقيم بثلاثة مراحل متتابعة هى : المؤشرات - الدلالات ، والضوابط / القيود - الإطار الحاكم ، والمعايير - اسس القياس .

ويمكن توصيف هذه المراحل فى ضوءمحورين : أولهما - التأكيد على أن ثمة بناءً ذاتياً لكل نسق / منظومة وهذا البناء يرتكز فى تفرده على التباين والاختلاف فى القوانين (والمبادئ) المتعارف عليها فى كل مجتمع . ثانيهما-تمثل المرحلة التى ترصد خلالها هذه القوانين(المبادئ) المشكلة للإطار الفكرى الحضارى لكل مجتمع وتفهم خلفياتها الحاكمة المدخل والركيزة الاساسية لتركيب الهيكل البنائى للنسق . وهذا المدخل يعنى بالقاء الضوء على كل قيمة على حدة فى مستوى ولمجموع هذه القيم فى مستوى أعم وأشمل .

٣ - الأنساق القيمية في المجال العمراني

اما الجانب الثانى والذى يستهدف هذا العمل إبرازه من خلال بيان العلاقة " القيم والعمران " هو الذى يتعلق بالكشف عن الدور الذى تلعبه القيم فى التأثير على النتاج سيكون التركيز فيه هنا على مجموعة من الفرصيات الأساسية والفروض الثانوية التى تمكن من خلال اختبارها الإشارة الى ملامح هذه العلاقة . مع التأكيد على أن هذه الفرضيات تمثل فى مجملها مدخلا لصياغة العلاقة واثباتها : (10) , (9)

- إن دراسة القيم الإنسانية والتعرف عليها بدقة يمكن أن يشكل مدخلا رحباً لصياغة منهج اجتماعى/ ثقافى - عمرانى يفيد فى المراحل المبكرة لتصميم وتخطيط المواقع من ناحية كما يمكن من قراءة النتاج البنائى النهائى وتقييمه ومن ثم تنميته فى ضوء فهم الثوابت التراثية كمردود مادى لهذه القيم من الناحية الثانية .
- إن حصيلة الثوابت التراثية العمرانية والمعمارية المشكلة لعمران المدينة العربية التقليدية يمكن أن تتضمن فى محتواها مجموعة من القيم الإنسانية الفريدة التى اكتسبها الإنسان فى ضوء تأثرة بالإطار الفكرى والحضارى فى مجتمع محدد وزمن محدد . وأن الرؤيا الموضوعية لهذه القيم من خلال الثوابت التراثية قد يساعد على الوصول إلى نسق قيمى عمرانى يتلاءم مع متطلبات العصر الحالى .
- إن الوصول إلى النسق القيمى العمرانى يتطلب بالإضافة إلى الإستقراء الموضوعى للثوابت التاريخية بذل الجهد فى توثيق متطلبات الفرد والجماعة فى ضوء فهم قيمهم الجديدة ، وهذه يمكن التعرف عليها عن طريق الدراسات الميدانية والموجهة ، مع الإشارة إلى ضرورة الاستمرار فى تصويب هذا النسق القيمى كلما تطلبت الضرورة ذلك فى ضوء المؤثرات الجديدة .

وجديربالذكرأن هذا الجانب من الدراسة يركز علي استكشاف أوجه العلاقة بين القيم الإنسانية التى يفرضها الإطار الفكرى والحضارى للمجتمع والقيم الفاعلة التى تظهر فى النتاج البنائى والتى تعود بدورها - بعد تفاعلها مع النتاج - وخلال دور الإنسان كمستعمل - لتؤثر مرة أخرى وتسهم فى صياغ الإطار الحضارى المعاصر.

ويوضح الشكل التالى بيانى لموضع معايير الفاعلية القيمية (كمعايير) والأنساق القيمية (كأدوات للقياس) فى موقع متوسط بين تأثيرات مكونات كل من الفاعلية الإنسانية (المعرفة ، السلوك ، والوجدان) والفاعلية المادية (الوظيفة ، الجودة ، و الجمال) وكلهاتساهم فى تحقيق كفاءة النتاج البنائى .

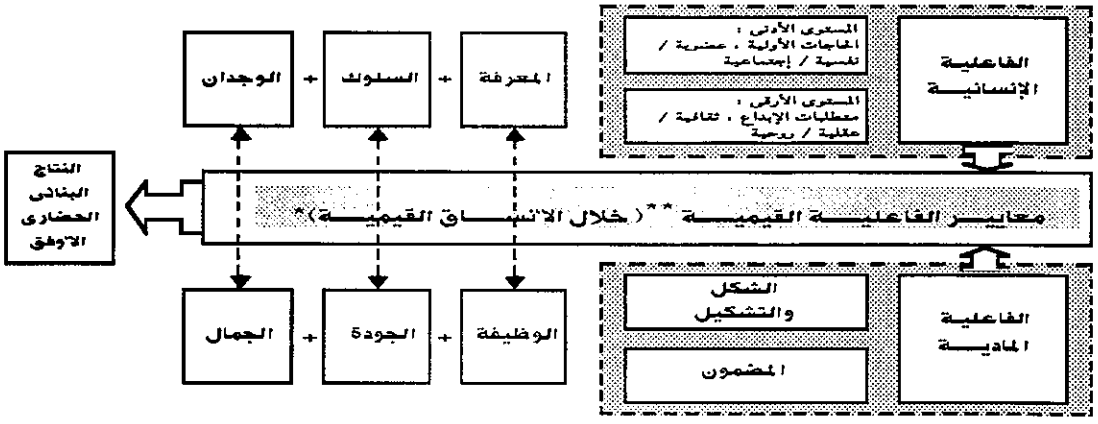

العلاقة بين الفاعلية الإنسانية والفاعلية المادية وتاثيراتها علي معايير الفاعلية القيمية لتحقيق فاعلية النتاج البنائى

---

* الأنساق القيمية : عبارة عن أحداث أمكن التعبير عنها في النتاج البنائى فى كيانات مادية ملموسة . أوهى المفردات (الثابتة والمتجددة) التي تعكس الوجود المادى لقيمة إنسانية محددة (أو مجموعة من القيم) فى النتاج البنائى .

** أما معايير الفاعلية القيمية : فهى القيم الانسانية التى أمكن تحويلها إلى أدوات للقياس (معايير) تحت تأثيرات محددات الفاعلية الانسانية والفاعلية المادية ، ويمكن من خلالها الحكم على فاعلية النتاج البنائي فى ضوء رؤيته والتعامل معه كأحداث من جهة ويمكن ترجمتها إلى عناصر مادية لتلبية متطلبات الفرد والجماعة .من جهة أخرى وكلاهما يكونان الأنساق القيمية العمرانية .

وفى الغالب تظهرالعلاقة المركبة : الانسان – المكان خلالمجموعة من معايير الفاعلية القيمية لتشير إلى بعض ملامح القيم الإنسانية بعد ترجمتها فى العمارة والعمران والتعبير عنها فى النتاج البنائى بالمفردات والعناصر الثابتة والمتجددة . كما تجدر الإشارة إلى أن هذه الأنساق ليست ذات أهداف وظيفية فحسب (كتعبير عن قيمة محددة) بقدر أنها قد تصبح عناصراً – على الأرجح – مولدة للقيمة فى إطار الخبرة المكانية .

ويبين الشكل المرفق عملية توثيق القيم الإنسانية كأنساق عمرانية (والعكس) فى مجموعة من المكونات والمراحل : (١) استكشاف محددات الفاعلية الانسانية (المعرفة / السلوك / الوجدان) والفاعلية المادية (الوظيفة/الجودة) الجمال) فى كل قيمة على حدة / منفرداً . (٢) ترجمة هذه الفاعليات إلى أحداث/أنشطة (٣) تحديد مقاييس . ومستويات التعامل مع هذه الأحداث كمواضع وأماكن لممارستها . (٤) اقتراح وصياغة العناصر والمفردات المادية (العمرانية/المعمارية) التى تتوافق مع الأحداث وأماكن ممارستها .

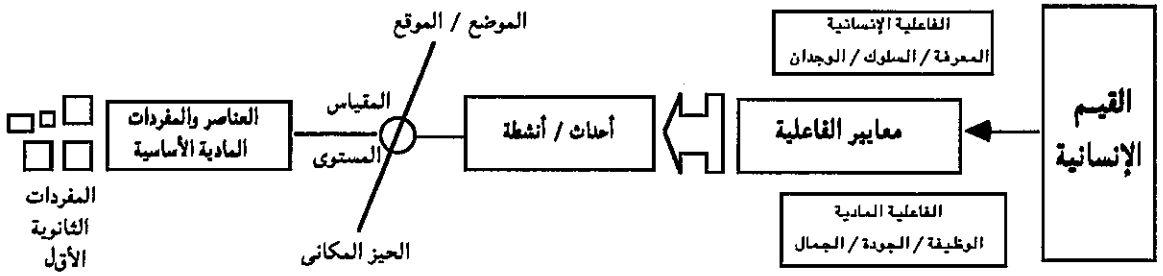

مراحل ومكونات مركب النسق فى المجال العمرانى

وفى حدود الحيز المتاح تطرح هذه الورقة مثالين لصياغة الأنساق القيمية فى المجال العمرانى :

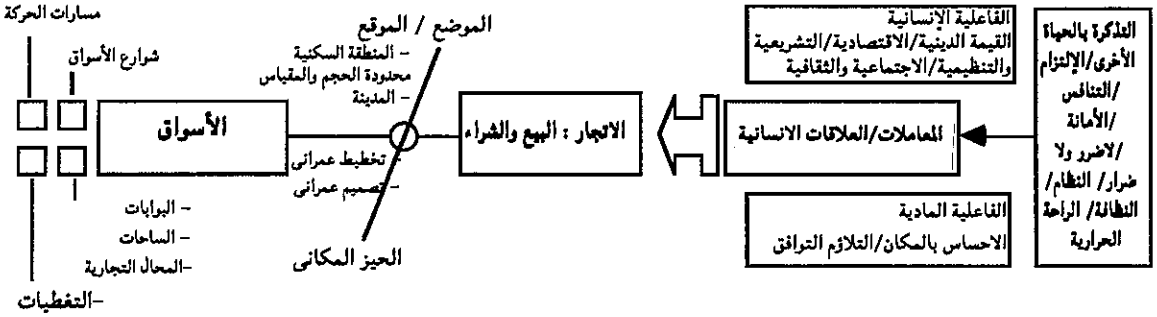

العلاقات الإنسانية / المعاملات كمعيار لصياغة السوق كنسق قيمى وعمرانى

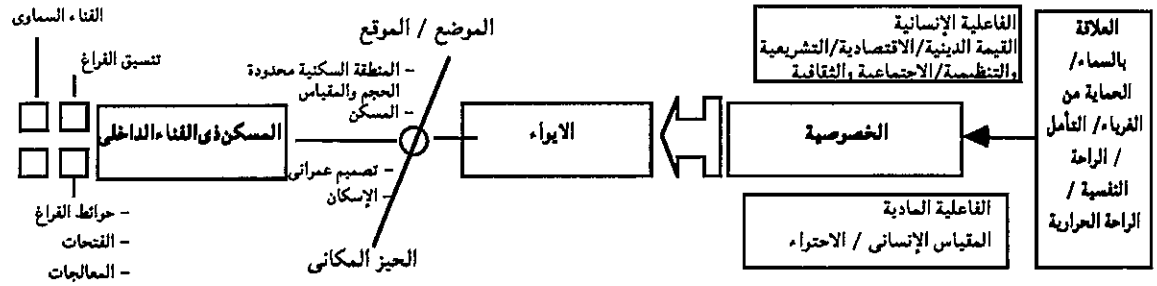

الخصوصية كمعيار لصياغة المسكن ذى الفناء كنسق قيمى عمرانى

وتركز الدراسة الحالية على أهمية إظهار تأثيرات بعض القيم الإنسانية فى النتاج البنائى فى ضوء مراجعة سريعة لملامح من بعض أنماط وهياكل المدن العربية التقليدية . وتخلص هذه المراجعة إلى إستكشاف مجموعة من معايير الفاعلية القيمية التى يمكن بها إختبار التشكيلات العمرانية والمعمارية فى البيئات المختلفة بمقاييسها الثلاثة ؛ المدينة ، والمناطق السكنية محدودة الحجم والمقياس ، والمسكن ، وخلال المستويات الأساسية للتعامل معها ؛ التخطيط ، والتصميم العمرانى ، والاسكان فى تتابع على النحو الأتى :

٥ - المراجع

١ - سيد محمد التونى ونسمات عبد القادر (١٩٩٠) " عن الإسكان والعمران " ، أبحاث مختارة من الأعمال المنشورة ، الجزء الثانى ، (ص ص : ٦٧ - ٧٧) ، (ص ص :٨١ - ٩٥) .

٢- صلاح قنصوه (١٩٨٤) " نظرية القيم فى الفكر المعاصر " ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

٣- عبد اللطيف محمد خليفة (١٩٩٢) " إرتقاء القيم (دراسة نفسية) " ، عالم المعرفة ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، العدد ١٦٠ . (ص ص :١٥ - ١١٠) .

٤- عبد الحليم ابراهيم عبد الحليم (١٩٨٦) " بحث تحسين بيئة المجتمعات العمرانية المتدهورة " ، اكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا ،الهيئة العامة لمركز بحوث الإسكان والبناء والتخطيط العمرانى بالاشتراك مع جماعة تصميم المجتمعات ، سبعة أجزاء ، القاهرة ، مصر .

٥ - فاروق أحمد مصطفى (١٩٨٠) " دراسات فى المجتمع المصرى : الموالد - دراسات للعادات والتقاليد الشعبية فى مصر " ، الهيئة العامة للكتاب،الاسكندرية ، مصر .(ص ص : ١٣ - ٦٥ ،(ص ص : ١٤٧ - ١٧٥)(ص ص :٢١٢ - ٢١٩).

٦ - كمال التابعى (١٩٩٣) " القيم الاجتماعية والتنمية الريفية - دراسة فى علم الاجتماع الريفى " ، مكتبة النصر ،القاهرة ، مصر ، الطبعة الثانية .

٧ - ، " مقدمة أبن خلدون " ، المثنى ، بغداد .

8 - Alexander , Christopher, et al . , (1977) " A Pattern Language " , Towns , Building , construction , New york , Oxford University Press.

9 - Fathy ; Hassan , (1989) " Architecture for the Poor " , the American University in Cairo, Egypt.

10 - Rapoport; Amos ; (1969) " House Form and Culture " , Prenting - Hall , Inc. , Englewood Cliffs , N.J. , U.S.A .

بيروت في ٢٠ / ١ / ١٩٩٥

١/ ٥٥/ ١٤١

السيد / الدكتور هشام ابو سعده
باحث بمركز ابحاث البناء ـ القاهره

تحية طيبة وبعد ،

اتشرف بافادة سيادتكم علما بقبول البحث المقدم منكم للمؤتمر للنشر في كتاب المؤتمر والقائه .

عنوان البحث :

القيم كأداة لتنمية المناطق العمرانية
دلالات القيمة في عمران المدينه ـ مدخل الى علاقة الانسان والمكان

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،،،

عميد الكلية
نائب رئيس المؤتمر
أ.د. احمد صلاح الدين عطية

١/٥٥/ ج-١